

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيداه الله تعالى بنصره العزير

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٠٣/٠٤

في مسجد بيت الفتوح بلندن



أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (أمين).

لقد سردتُ في بعض خطبي الماضية قصصاً وحكايات يمكن أن يعتبر بها المرء، وقد رواها المصلح الموعود عليه السلام عن المسيح الموعود عليه السلام. عندما بدأتُ بانتقاء بعض الحكايات والروايات من هذا القبيل للتحدث عنها اليوم، خطر ببالي أن بقاء هذه الحكايات حية إلى اليوم إنما هو ببركة المسيح الموعود عليه السلام، فلو لم ترد في أدبيات الجماعة الأحمدية لكانت قد صارت في طيِّ النسيان منذ فترة ولما عرفها أحد في هذا العصر الحديث، فهذه الحكايات تُترجم في هذه الأيام إلى عدة لغات. فكما قلتُ بأنني اخترتُ بعض الحكايات للتحدث عنها اليوم، وهي ليس قصصاً وحكايات فقط بل بعضها وقائع حقيقية، وفي بعضها قدم المسيح الموعود عليه السلام نصائح ووجه الأنظار إلى بعض الأمور. إنها تبدو طرائف في أول وهلة، ولكنه عليه السلام يقدم لنا من خلال تلك الطرائف أيضاً جانب الإصلاح. فأقدم لكم حادثاً يبدو طريفة ظاهرياً.

يقول المصلح الموعود عليه السلام بأن المسيح الموعود عليه السلام كان يضرب مثل زوجة بستاني لها ابنتان، إحداهما كانت متزوجة في عائلة الخزافين والأخرى في عائلة البستانيين. كلما ظهرت سحابة في السماء كانت المرأة تقلق بشدة وتتجول هنا وهناك كالجنانين. وإذا سألها الناس عن سبب قلقها قالت: إحدى ابنتي لم تُعد بخير الآن لأنه إذا نزل المطر فابنتي المتزوجة في عائلة الخزافين لن تكون بخير لأن تجارة العائلة ستبور. وإن لم ينزل المطر فإن ابنتي المتزوجة في عائلة البستانيين لن تكون بخير لأن حضرواتهم لن تنبت بسبب شح المطر. باختصار، إذا نزل المطر سوف تخرب أواني عائلة الخزاف وإن لم يترل فستحدث خسارة في الخضروات. لقد سرد المسيح الموعود عليه السلام هذا المثال للبيان أن

اختلافا حدث بين أحمديين فنصحهما الإخوة ولكنهما أصرا على رفع قضيتهما في المحكمة الحكومية للحكم فيها، ففعلا، وعندما قرب موعد المثول في المحكمة جاء أحد الفريقين أو مندوبهما طالبا الدعاء من المسيح الموعود عليه السلام. فكان المسيح الموعود عليه السلام يقول في مثل هذه المواقف: كلاهما يريد لي وهما على علاقة معي أيضا، فلأني واحد منهم أَدعو أن يفوز ولأني منهما أَدعو أن يفشل؟ فليس لي إلا أن أَدعو أن يفوز من هو على الحق.

أقول: لا يزال الحال على المنوال نفسه في هذه الأيام أيضا أنه عندما يرفع بعض الأحمديين قضايا على بعضهم يكتبون إلي طالبين الدعاء لأنفسهم، فمثل طلب الدعاء في هذه الحالة كمثل نزول المطر وعدم نزوله في المثال السابق؛ أي إما ستتضرر الابنة المتزوجة في عائلة الخزافين أو تتضرر المتزوجة في عائلة البستانيين، إذ لا بد من أن تتضرر إحداهما.

هنا أريد أن أوضح أيضا ألا يظن أحد بسماع المثال المذكور أنه إذا كانت القضايا بين الأحمديين تُرفع في المحاكم في زمن المسيح الموعود عليه السلام فلا بأس إذا حدث ذلك في هذه الأيام أيضا. أقول: صحيح أن التوجه إلى المحاكم من أجل العدل جائز، ولكن إذا كان الفصل بين الفريقين بواسطة الإخوة عن طريق التحكيم ممكنا فلا يجوز التوجه إلى المحاكم الحكومية، ويجب ألا يكون الإنسان عنيدا ومتعنتا. والمسيح الموعود عليه السلام أيضا ما كان يجب هذا التصرف. إذا، التعنت ليس بأمر محمود لذا يجب على الإنسان أن يجتنب التعنت، ويجب أن ينقذ الإمام من موقف محرج بطلب الدعاء منه في مثل هذه المواقف، لأنه إذا كان الفريقان أحمديين فلمن يدعو ولمن لا يدعو؟ فأدعو الدعاء نفسه الذي دعاه المسيح الموعود عليه السلام أي أن يُعاد الحق إلى صاحبه.

كذلك قد وجه الله تعالى أنظارنا إلى أمر آخر وهو احترام الوالدين وأداء حقوقهما إلا في أمور الدين وأوامر الله تعالى، فإذا كان الأمر يتعلق بالدين فيمكن للمرء أن يقول للوالدين بأني أحترمكما ولكن ما دام الأمر يتعلق بالله تعالى لذا يتعذر عليّ أن أقبل أمركما، فأنا مضطر في هذا الموضوع.

يقول المصلح الموعود عليه السلام أن من واجب كل إنسان أن يحترم والديه، ولا يخالف أمرهما. ولكن هناك كثير من الشباب الذين لا يحترمون أبويهم كما يجب ولا يهتمون بحقوقهم، بل إذا تقلد أحد منهم منصبا مرموقا يشعر بالخل من لقاء والديه الفقراء. كان المسيح عليه السلام يروي أن هندوسيا علم ابنه بتحمل مشقة كبيرة لينال شهادة البكالوريوس والماجستير، وشغل ابنه بعد نيل هذه الشهادات منصب نائب المفوض. الوصول إلى منصب نائب المفوض في ذلك الزمن كان يُعد إنجازا كبيرا وإن لم يُعد الأمر كذلك في الأيام الراهنة.

فخطر ببال والده ذات يوم أن ابنه قد شغل منصب نائب المفوض فيجب أن يذهب لزيارته. فحين وصل الأب الهندوسي إلى ابنه ليقابله كان الابن جالسا مع المحامين وغيرهم من أصحاب المناصب العليا. فجلس أبوه أيضا جانبا وهو لابس إزارا وسخا. فواصلوا الحديث فيما بينهم، وفي أثناء ذلك نظر أحد أعضاء المجلس إليه واستاء من جلوسه

هناك على هذا النحو وتساءل: من هذا الجالس في مجلسنا؟ حُرِّجَ نائب المفوض من هذا الموقف وقال لِينقذ نفسه من الخجل: هو خادمنا. عندما سمع والده هذا الكلام استشاط غضبا وهض وقال غاضبا: أيها السادة، لستُ خادمه بل أنا خادم أمه. عندما علم زملاء نائب المفوض أن الرجل والده لأموه كثيرا وقالوا: لو أخبرتنا من قبل أنه والدك لأنزلناه منزل الاحترام والتعظيم الذي يستحقه. على أية حال، تُلاحظ مثل هذه المواقف حيث يتحاشى البعض ملاقاتة أقاربهم إذا كانوا فقراء- سواء أكان الوالد أو غيره- لئلا يحطَّ ذلك من شأن مرتبتهم العليا. إذا، إن احترام الوالدين واجب بينما نرى بعض الناس يتحاشون لقاءهما كما يتحاشون لقاء بعض الأقارب الآخرين الذين يجب احترامهم، وهناك من يصمون اسم والديهم بوصمة عار بدلا من أن يذيعوا سمعتهم الحسنة.

ذات مرة بين المصلح الموعود ﷺ موضوعا أن بعض الناس يسمعون محاضرة العلماء والمحاضرين كعادة فقط وللاستمتاع بها مؤقتا فحسب. يقول المسيح الموعود ﷺ أن عليكم ألا تأتوا إلى المجالس واضعين في الحسبان أن المحاضر مفعوه فلنسمع خطابه، بل عليكم أن تتبها إلى ما يقال في المجلس وكيف يمكنكم الاستفادة منه. إذا، لا يفهم بعض الناس ما يقوله المحاضر ولا يدركون عمق كلامه ومحاضرتة وما يهدف إليه، بل يجلسون في المجلس للمتعة المؤقتة فقط. كذلك يلقي بعض المحاضرين أيضا محاضرات رتانة لإثارة العواطف ولخلق الحماس مؤقتا، ويُخرجون أصواتا غريبة ويحاولون أن يُنشئوا رقة زائفة.

يقول المصلح الموعود ﷺ في ذكر خطيب من هذا النوع أن المسيح الموعود ﷺ كان يذكر خطيبا أنه قام لإلقاء محاضرة وكان موضوع كلامه مثيرا للركة كثيرا. فجاء شخص إلى هناك ووقف لسماع الخطاب. كان الرجل فلاحا وفي يده المذرة - وهي أداة ذات ثلاثة فروع ولها قبضة طويلة- يستخدمها الفلاحون لذرّ قشّ القمح. كانت تُستخدم في البلاد الغربية أيضا في الأيام الخالية قبل اكتشاف التكنولوجيا المعاصرة. باختصار، جاء الفلاح المذكور من قرية ووقف لسماع الخطاب. لم يترك الخطاب أدنى تأثير في الحضور المستمعين إليه قبله ولكن هذا الفلاح بدأ يبكي بعد فترة وجيزة من سماع الخطاب. وكان من سوء حظ المحاضر أن أصابه الرياء فظن أن الفلاح قد تأثر بخطابه كثيرا فقال مخاطبا الحضور: إن للناس قلوبا مختلفة، إنكم تسمعون محاضرتي منذ ساعات ولم تتأثروا بها، ولكن انظروا إلى عبد الله الذي تأثر بها فورا إذ قد جاء قبل وقت وجيز ووقف سامعا وبكى. ثم سأل الفلاح- ليظهر على الناس مدى تأثير خطابه عليه- ماذا أثر فيك يا رجل حتى بكيت وأجهشت بالبكاء؟ وما أجابه الفلاح يمكن أن يفهمه الفلاحون جيدا أو القدامى من الناس، فقال الفلاح: لقد مات عجل بقرتي البارحة وكان يخور مثلك، فعندما سمعتُ صوتك تذكرتُ العجل وبكيتُ حزنا عليه. خجل المحاضر كثيرا بسماع كلام الفلاح. لا شك في أنه قد ثارت عواطف هذا الفلاح ولكن بسبب صراخ المحاضر وإخراجه أصواتا غريبة في محاولة خلق الرقة، فتذكر الفلاح

عجله الذي مات وهو يخور مثل هذا المحاضر. لقد أساء المحاضر فهم الموقف وظن الفلاح بكى بسماع محاضراته المثيرة للرقعة. ولكن رياءه وزيفه كشف حقيقة تأثير الخطاب فورا.

أقول: لو سمعتم محاضرات المشايخ التي يلقونها ضدنا لوجدتم أنهم أيضا يُخرجون أصواتا على النحو المذكور تماما. على أية حال، هذا ما يقوم به هؤلاء الناس. الإخوة الذين يسكنون في باكستان أو الذين جاءوا من هناك حديثا يكونون قد سمعوا محاضرات المشايخ ضدنا ويعلمون كيفية الأصوات التي يُخرجونها عندما يثورون بوجه خاص في أثناء إلقاء المحاضرات.

إنها لمتة الله علينا أنه وفقنا للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام، وإلا كان بالإمكان أن نكون نحن أيضا من أتباع المرشدين المزعومين الذين يقومون بأعمال شائنة باسم الإسلام. يدّعي هؤلاء المرشدون المزعومون أنهم واصلون إلى الله ويقضون حاجاتهم بواسطة أدعيتهم ولا حاجة لهم إلى أي شيء، وأن علاقتهم مع الله وطيدة وهم راغبون عن الدنيا كليا. ولكن ما هي أعمالهم؟ يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الصدد عن شخص أنه كان يزعم نفسه واصلا إلى مرتبة عالية، فذهب إلى أحد مريديه وقال له: هات ضريبي أي قدّم لي النذر. كانت الأيام أيام القحط فقال المرید: ليس عندي شيء فاعذرني هذه المرة. ولكن المرشد ظل يخاصمه إلى وقت طويل حتى أكرهه أن يبيع شيئا من عنده ففعل وتخلص من المرشد بدفع المال له مما باعه.

إذا، توجد نقاط الضعف والأرجاس من هذا القبيل في الذين يقومون بادعاءات كبيرة ويزعمون أنفسهم حائزين على مراتب عليا. وهذه الأمور ليست مما أكل عليه الدهر وشرب بل يوجد المرشدون من هذا النوع في بلاد مثل باكستان وغيرها في هذه الأيام أيضا. القرآن الكريم محيط بكافة أنواع العلم والمعرفة التي هي مذكورة فيه، ولكن إن لم نتوصل نحن إلى أعماق تلك المعرفة بسبب نقصنا العلمي وعدم تدبرنا فهذا أمر آخر.

يقول المصلح الموعود عليه السلام ما مفاده: أتذكر جيدا أن المسيح الموعود عليه السلام قال ذات مرة أن مبادئ الطب كلها مذكورة في القرآن الكريم وعلاج كافة أسقام الدنيا موجود فيه. ولكن من الممكن أنه لم تسنح لي فرصة التأمل في القرآن على النحو المطلوب، أو من الممكن ألا تكون معرفتي قد بلغت المبلغ المطلوب، ولكن يمكنني القول بناء على معرفتي الشخصية وما تعلمته من كبارنا أننا لسنا بحاجة إلى أي شيء خارج القرآن الكريم.

فيجب التدبر والتأمل في القرآن الكريم وقراءة كتب المسيح الموعود عليه السلام وتفسير المصلح الموعود عليه السلام وما فسّره وشرحه الخلفاء من آيات القرآن الكريم، كما ينبغي أن تتدبروا بأنفسكم أيضا وتسعوا لاستنباط نكات المعرفة من القرآن الكريم.

يظن البعض أنهم حصلوا العلم ويكفيهم ذلك ولا يحتاجون إلى شيء آخر، ولا يحتاجون إلى أي خبرة ولا إلى أن يستشيروا شخصا آخر، ولكن من الضروري وجدير بالتذكر أن المرء يحتاج إلى الخبرة إضافة إلى العلم، وإذا أراد أحد

أن يصبح طبيبا بقراءة كتاب فقط فهذا مستحيل، لذا لا بد له بالإضافة إلى قراءة كتب الطب أن يعمل مع طبيب حاذق ويتدرب على علاج المرضى، لذلك حرت العادة في كليات الطب أنهم إضافة إلى تدريس طلاب الطب يدرّبونهم مع الأطباء الخبراء، وإن لم يفعلوا ذلك لم يكسبوا خبرة ولم يتعلموا شيئا، وليس هذا فقط بل يحتاجون إلى مزيد من التجربة بعد نهاية دراستهم أيضا ولا يكفيهم ما يقومون به من تدريب وممارسة أثناء الدراسة فقط. باختصار، لا يعني أي طبيب علمه ما لم يمارسه، فالعلم من دون العمل غير مفيد، كان المسيح الموعود عليه السلام يسرد قصة عن هذا الموضوع نفسه أنه كان هناك طبيب ذو علم واسع، وكان قد درس الطب كثيرا، وعندما بلغه حسن سمعة الملك رنجيت سنغ توجه إلى بلاطه لعله ينال درجة. كان وزير رنجيت سنغ مسلما، فلقي الطبيب وزيره وطلب منه أن يشفع له من أجل اللقاء مع الملك، فخشى الوزير أنه لو نال الطبيب منزلة عند الملك لربما يؤدي ذلك إلى نزول مكانته هو، ومع ذلك لم ير من المروءة ألا يشفع له، وكان قد أدرك أثناء الحديث مع الطبيب أنه لا يملك أية خبرة إلا أنه حائز على علم كثير، فشفع له عند الملك رنجيت سنغ وقال: إن هذا الشخص عالم كبير وقرأ كتبا كذا وكذا، أي مدح الوزير علم ذلك الطبيب كثيرا، فسأله الملك: هل يملك شيئا من الخبرة أيضا؟ فقال الوزير: سوف يكسبها بفضل جلالته الملك، أي سيكسب الخبرة بتجاربه على الملك. كان الملك رنجيت ذكيا جدا، ففهم أنه لا قيمة للعلم من دون العمل، فقال: أولم يبق للممارسة إلا المسكين رنجيت سنغ؟ وقال: من الأفضل أن تُكرمه بجائزة وتُرحله. فالخبرة العملية أيضا ضرورية مع العلم ولها أهمية كبيرة في العالم، فإن لم يكسب الإنسان خبرة عملية بعد تحصيل العلم في أي مجال فيأتي عليه أوان لا يدري فيها ماذا عليه أن يفعل، ويفزع فزعا ومع علمه لا يستطيع إزالة العائق وحل المشكلة العارضة، فإذا بدأ أي إنسان يعتبر نفسه ماهرا في أي مجال بعد تحصيل العلم فقط لتلقى جوابا مثل ما قال رنجيت سنغ.

وهذا الأمر ضروري جدا لرقى الجماعة أيضا، ومن المهم جدا للشباب أنهم عندما يحصلون العلوم الجديدة عليهم أن يكسبوا خبرة أيضا، ويستفيدوا من الخبراء في مجاهم وبالتالي يستخدموا علمهم في رقي الجماعة أيضا، يقترح كثير من الناس باستخدام التكنولوجيا الحديثة باستخدام أشياء متنوعة، يكون رأيهم صائبا علميا ولكن تكون فيها بعض المشاكل التي إزالتها تكون ضرورية ويمكن أن تعترض بعض العوائق التي لا بد من التأمل فيها ولا يمكن أن يخبر بها إلا أصحاب الخبرة.

والأحمدي يمكن أن يحافظ على إيمانه بعلاقته الوطيدة مع نظام الجماعة والخلافة وتكون هذه العلاقة منظمّة، ولإنشاء هذه العلاقة لا بد من استخدام الوسائل التي يمكن أن تُنشئ هذه العلاقة عن بعد أيضا. يقول المصلح الموعود عليه السلام وهو يبين هذا الموضوع: في أمور الجماعة لا يمكن أن يتطور أفراد الجماعة بل لا يستطيعون أن يبقوا أحياء ما لم تكن علاقتهم بالأصل، وأفضل وسيلة لإنشاء هذه العلاقة في هذا الزمن هي الجرائد، حيثما كان الإنسان مقيما ما

دامت تصله جرائد الجماعة فيبدو قريبا، مثاله كما أتحدث الآن معكم، (يقول المصلح الموعود ﷺ ذلك وهو يلقي خطابا في قاعة النساء أثناء الجلسة السنوية، وكانت النساء يستمعن إلى خطابه بمكبر الصوت، فلو لم يكن مكبر الصوت لما وصلهن صوته وما علمنَ ماذا يقال لمن). قال ﷺ: "قد جعل المكبر النساء قريبات من خطابي." هنا أيضا يصل صوتي في قاعة النساء أيضا بواسطة المكبر، وهن أيضا يسمعن الخطاب، فهذا أيضا نوع من القرب. وهكذا فإن الجرائد أيضا تجعل المقيمين بعيدا قريبين من القوم.

كان المسيح الموعود ﷺ يقول: إن جريدتي "الحكم" و"بدر" بمنزلة ساعدَيَّ، مع أن هاتين الجريدتين كانتا تنشران أحيانا أخبارا ضارة أيضا، ولكن لأن نفعهما كان أكبر من ضررهما لذا كان المسيح الموعود ﷺ يقول: أشعر وكأن هاتين الجريدتين بمنزلة ساعدَيَّ، ومعناه أن هذين الساعدين وسيلة للارتباط بيننا وبين أفراد جماعتنا. ثم يقول ﷺ: إن في ذلك الزمن -أي في زمن المسيح الموعود ﷺ- كان الناس يهتمون جدا بجرائدنا، مع أن عدد الجماعة كان أقل من الآن بحيث كانوا يوازنون العُشر أو نصفه، -وهي أقل بمئة بل بألف مرة مما هي عليه الآن- وكان يصدر من جريدة بدر في ذلك الزمن ألف وأربعمئة أو ألف وخمسمئة نسخة، ثم بعد ذلك قلَّ إصدارها شيئا فشيئا. وكذلك كان حال جريدة الحكم. كان أفراد الجماعة يشترون الجرائد بكثرة، بل كان يشتريها في بعض الأحيان من ليس بمثقف، وكانوا يُعطونها للآخرين للقراءة، وكانوا يظنون أن هذه أيضا وسيلة للتبليغ، بل كان أحد الأحمديين سائق عربية ولم يكن يعرف القراءة ولكنه كان يشتري جريدة الحكم ويضعه في العربة، وعندما كان يأخذ الركاب يعرف من ملامح وجه الراكب ما إذا كان طيبا أم لا، فكان يعطيه الجريدة ويقول له: جاءني هذه الجريدة فأرجو أن تقرأها لي من فضلك. فالراكب عند نزوله في منزله كان يكتب عنوان الجريدة ويتواصل مع الجماعة بهذه الطريقة، وكانت تحدث بيعات نتيجة ذلك. وكان الناس يقولون إن هذا الشخص مع كونه غير متعلم ومع كونه سائقَ عربيةٍ حصان حصلت عن طريقه بيعات أكثر من غيره. قد خلق الله تعالى لنا تسهيلات أكثر في هذا الزمن. أولا ينبغي لكل أحمدي أن يتابع أيم تي إيه لتربية نفسه ولإنشاء علاقة وطيدة مع الخلافة وينبغي أن يتعود ذلك، وثانيا ينبغي أن يخبر الآخرين أيضا ببرامج أيم تي إيه وموقع الجماعة بهدف التبليغ، وفي بعض الأحيان إذا وجد فرصة يجلس مع أصدقائه ويستمع إلى هذه البرامج ويعرفهم بها. تأتيني رسائل كثيرة قائلة منذ أن بدأنا نستمع إلى خطب الجمعة على الأقل بدأت تتوطد علاقتنا مع الجماعة وبدأ يتقوى إيماننا، ففي هذه الأيام القناة الفضائية الأحمديّة وموقع الجماعة alislam.org وسيلتان مهمتان للتبليغ ولتربية كل أحمدي ولإنشاء علاقته مع الخلافة والجماعة، فيجب على كل أحمدي أن يسعى للارتباط بهما.

يفكر بعض الناس أن يصلحوا من أنفسهم ويتقيدوا بأحكام الإسلام، وهم يتمنون خصوصا أن يواظبوا على الصلوات، ولكنهم يصاحبون الكسالى فيتكاسلون مثلهم رغم أمنية الإصلاح، ويتأثرون منهم دون أن يشعروا بذلك.

فلا بد من اختيار الأصدقاء الذين حالتهم الدينية جيدة والذين يواظبون على الصلوات ويلتزمون. وأريد أن أوجهه خاصة أحمددي ربوة وقاديان حيث يوجد أحمدديون بعدد كبير في مكان صغير كما تقع فيهما المساجد قريبة من بعضها، أن يعمروا المساجد هناك، وكذلك يجب أن تتجنبوا كثيرا أولئك الذين يحملون أفكارا سيئة عن نظام الجماعة، وبعض الناس الذين يذهبون من الخارج يكتبون إلي عن هذا الشيء ويشتكون أن أهل ربوة أيضا يحتاجون إلى التوجيه إلى الاهتمام بالصلوات، فيجب على سكان ربوة أن يتوجهوا إلى هذا الأمر بشكل خاص، والذين هم ضعفاء بدل أن يتأثروا من الضعفاء الآخرين يجب أن يقبلوا تأثير أولئك الذين علاقتهم مع الجماعة قوية والذين يواظبون على الصلوات أيضا. كان المسيح الموعود عليه السلام يبين مثلا كيف يتأثر المرء وكيف يمكن لعاقل أن يتأثر من الآخرين، فيقول: كان جالينوس واقفا في موضع إذ جاء إليه أحد المجانين مهرولا والتصق به ولما انفصل عنه قال جالينوس: افسدوني، أي أخرجو دمي. فسأله الناس: لماذا تريد ذلك؟ فقال: هذا الجنون التصق بي دون غيري فيبدو أن في عرقا من الجنون، لذلك هو ترك الآخرين والتصق بي فلا بد أن يكون في عرق الجنون الذي آنس هذا الجنون فاجذب إلي. يقول المصلح الموعود عليه السلام: فالذين يميلون إلى أولئك الناس الذين لا يصلون ويتهاونون في الصلوات اتباعهم للكسالى يدل على أنهم هم أيضا يتلاءمون مع الكسالى، فيجب على كل أحمددي في كل مكان أن يميل إلى النشاط والفاعلين في الجماعة ويستأنس بهم بدل أن يستأنس بالكسالى ويرتبط بهم، فإذا تم ذلك ازداد عدد النشيطين في الجماعة وصار الكسالى أيضا نشطاء.

ذات مرة جاء شخص إلى مجلس المسيح الموعود عليه السلام وقال: إني أريد أن أرى معجزة فأرني معجزة فلانية فسأؤ من بك. يقول المصلح الموعود عليه السلام: أتذكر جيدا أن المسيح الموعود عليه السلام رد عليه بقوله: إن الله ليس مشعوذا، ولا يُرى الشعوذات بل إن كل فعل له حكيم، فأخبرني أولا ماذا انتفعت من المعجزات السابقة حتى أريك معجزة جديدة؟ الحق أن الفطرة الإنسانية لا تحب بسبب ضعفها بل تستاء من أن يُسأل المرء عن مدى أدائه اجبه وتحب أن يظل الإنسان في كسله وغفلته وتحب أن تظهر لها الشعوذات. هذه هي فطرة الإنسان. ومن عادة أهل العناد الدائم أنهم يسلكون مسلك الشيطان حتى يبرروا عدم إيمانهم، وقد طرحوا على جميع الأنبياء مثل هذه الأسئلة، وكذلك طالب الكفار الرسول عليه السلام أيضا مثل هذه المطالبات أن يُريهم آية بيت من زخرف، وآية الصعود إلى السماء، وليس ذلك فحسب، بل أن يأتيهم بكتاب أمام أعينهم. فكانوا يتكلمون بمثل هذا الهراء ويثيرون مثل هذه الاعتراضات التافهة. والله تعالى وأنبيأؤه لا يعيرون هذه المطالبات السخيفة أدنى اهتمام. هناك آيات تخرج عن حد الإحصاء، وهي تكفي من أراد الإيمان من ذوي الفطرة النقية. كان البعض يخالف مشروع التحريك الجديد وقال ما هذا المشروع الجديد الذي ابتدعه الخليفة، فقال المصلح الموعود رضي الله عنه رداً على مطاعنهم مرة: الواقع أن مشروع هذا ليس بدعاً، إنما هو مشروع قديم، واستخدام لفظ "الجديد" إنما هو مجرد حيلة للعقول المريضة العاطلة التي لا تكون جاهزة لقبول

شيء إلا إذا كان جديداً. فكما أن الطبيب إذا عالج المريض بدواء واحد فترةً طويلةً يقول له المريض أحياناً هذا الدواء لا يجديني نفعاً، فيقول له الطبيب: حسناً سوف أعطيك اليوم دواءً جديداً، ثم يضيف إلى الدواء القديم نفسه دواءً آخر من قبيل الهيبل مثلاً، فيكون للدواء رائحة طيبة، فيظن المريض أنه قد أُعطي دواءً جديداً. والحق أن الطبيب أيضاً يكون صادقاً في قوله إنه قد أعطاه دواءً جديداً لأنه قد أضاف إليه دواءً آخر، غير أنه يجعله جديداً لكي يواظب المريض على تناوله ولا يقنط. ذات مرة جاءت إلى المسيح الموعود عليه السلام عجوز مصابة بالمalaria وكانت الحمى لم تفارقهما منذ أيام طويلة، فقال لها عليك تناول دواء يسمى "كونين". فقالت: كونين؟! لو تناولت ربع قرص الكنين تحرقني حرارة الحمى أسبوعاً أو أكثر. فلما رأى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أنها لا تريد تناول الكنين قال حسناً، خذي أقراص "الدارين" هذه وتناولوها. علماً أن دواء "الكونين" يسميه العامة في بلادنا "كُونَيْن"، ومعناه "دارين"، ومن أجل ذلك أعطاها المسيح الموعود عليه السلام دواء "الكونين" قائلاً لها: خذي أقراص الدارين هذه، وتناولوها. والملاحظ أنه عليه السلام لم يقل لها هذا ليس "كونين"، وإنما سماه باسم آخر. فتناولت من الدواء قرصين أو ثلاثة، وسارعت إلى المسيح الموعود عليه السلام وقالت له لقد صار هذا الدواء برداً وسلاماً علي، فأتني المزيد منه. كانت من قبل تقول لو تناولتُ من هذا الدواء ربع القرص لم تفارقني حرارة الحمى أياماً، ولكن بعد أن تغير اسم الدواء نفسه صار عليها برداً وسلاماً!

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: الواقع أنني سميتُ المشروع القديم الذي بدأه المسيح الموعود عليه السلام باسم جديد، فبدأتم تقولون إنه مشروع جديد. من كان منكم مخلصاً يريد التقدم الروحاني فقد قال لدى سماع الاسم الجديد للمشروع هذا شيء جديد وهلم ننتفع منه، وأما من كان في قلبه نفاق فظنه شيئاً جديداً وأخذ يقول إن هذا يأتي بالبدع الآن منحرفاً عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم والمسيح الموعود عليه السلام. فلم يبال الفريق الأول بفهم الأمر، ولم ينتفع الفريق الآخر من هذا المشروع.

فالقانون المتبع منذ الأزل، منذ آدم وحتى اليوم، أنه إذا هاجم الشيطان فلا بد لكم من اختراع تدابير جديدة اتقاءً من هجومه. وعندما يُخترع تدبير جديد بغية اتقاء شر الشيطان ومن أجل السرعة في إنجاز مهام الدين فإنما يُخترع في الواقع بهدف تحقيق الغاية التي من أجلها بُعث الأنبياء من قبل ثم بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم في هذا العصر جاء خادمه المخلص سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

لابد للمسئولين من السعي الدعوب ومتابعة الأمر بدون كلل أو ملل من أجل تحقيق أي هدف ومن أجل الرقي الإجمالي للجماعة، سواء أكان الأمر ذا علاقة بمجال التربية أو غيره. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: في عهد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام كان هناك سائل يجلس في معظم الأحيان أمام الغرفة التي كانت تُستعمل مكتباً للمحاسب في الجماعة، وكلما رأى شخصاً آتياً من جهة الميدان المسمى "ميدان الأحمديّة" قال له أعطني رويّة، وإذا

تقدم الآتي خطوات قال له حسناً، آتني نصفها على الأقل، وإذا تقدّم أكثر قال حسناً آتني ربعها، وإذا جاء حذاءه قال حسناً آتني ثمنها، وإذا تجاوزته خطوتين قال حسناً آتني نصف الثمن، وإذا ابتعد أكثر قال حسناً آتني نصف نصف الثمن، وإذا ذهب أبعد من ذلك قال حسناً آتني بيضة، وإذا ذهب بعيدا قال حسناً آتني نصفها، وإذا اقترب من مفترق الطرق المؤدي إلى المسجد الأقصى قال حسناً، آتني قطعة من "بكورا"^١ وإذا وصل إلى المفترق قال آتني حبة من الفلفل على الأقل. فكان يبدأ بالروبية، وينتهي عند حبة فلفل.

كذلك يجب على العاملين أن يسعوا جاهدين ليكسبوا شيئاً ما، وإذا التفت إليه واحدٌ في المائة أول مرة، ففي المرة القادمة سوف يكون اثنان في المائة، وفي المرة القادمة سيكون أربع، وعلى هذا المنوال سيزداد عددهم تدريجاً. فاعملوا أولاً ثم انظروا النتائج، فما دامت الأعمال المادية لا تبقى دون نتائج فكيف يُظن أن الأمور الأخلاقية والروحانية لا تؤدي إلى نتائج؟ أما الذين لا تكون قلوبهم نقية فهم يقولون: إنما ننجز الأعمال لكن النتائج بيد الله، ويقصدون من ذلك أننا لم ندخر جهداً وبذلنا قصارى جهودنا لكن الله عادانا. فكم من حماقة والسفه هذا القول! كأنهم ينسبون ضعفهم ونقصهم إلى الله. فسنة الله ﷻ أنه يخرج النتائج لكل عمل، وتتوقف النتيجة الجيدة أو السيئة على أعمالنا. إذا كان أحد بذل عشرة في المائة من الجهود فمن مقتضى سنة الله أن تظهر النتيجة بحسب العشرة في المائة. والعشرة في المائة هذه لا تعني أن هذه النتيجة ظهرت بمقتضى قانون الله مع أنه بذل الجهود أكثر من ذلك. فقانون الطبيعة لا يضيع جهود أحد، لكن النفس الشريرة تقول إنما أدت الواجب لكن الله لم يؤدِّ واجبه بل قد نسي. فأى كفر أكبر من هذا الظن؟ فالجهود والمساعي بأيدينا نحن ومن ثم نحن مسئولون عن النتائج. حين لا تظهر النتائج جيدة فاعلموا أن هناك نقصاً وخطأً في أعمالنا. لذا يجب بذل المساعي أن تظهر نتائج كل عمل أمامنا في صورة معينة، ويجب أن لا نجلس مطمئنين هادئي البال ما لم تظهر هذه النتائج. بعض الناس يقولون إنا قد عبدنا الله كثيراً ودعوناه كثيراً ولم تتحقق أهدافنا ولم تُتقبَّل أدعيتنا، فليعلموا هم أيضاً أنهم إما لم يصلوا إلى حيث كان يجب أن يصلوا، وإما قد حددوا لهم الغاية والهدف واختاروا طريقاً خاطئاً. لذا فليعلم الداعي أن عليه أن يختار طريقاً صحيحاً ويبدل الجهود المطلوبة أيضاً. كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقول إن صاحب الكيمياء^٢ حين يخيب ويفشل في عمله يقول: كان قد بقي نقص بسيط جداً. فهو لا ييأس من صنع الكيمياء وإنما ينسب النقص في جهده إلى نفسه. مع أنه لا مجال لأي أمل في هذا الجهد، أما أمل نشوء العلاقة بالله ﷻ وتقويتها فكامل. لكن صاحب الكيمياء يقضي كل حياته في المحاولة وسد النقص البسيط الذي بقي، ولا يقنط رغم خيبته المتكررة. أما الذي يريد أن يتقرب إلى الله ثم لا ينجح فلا ينسب النقص في أسلوبه إلى نفسه، بل يقنط من الله وييأس فوراً، ويترك المساعي كلها. فصاحب الكيمياء ينسب الخطأ إلى

^١ شيء يؤكل يشبه "أمشاط القرنبيط". (المترجم)

^٢ هو ما كان يُسمى حجر الفلاسفة، وهو حُلم تحويل معدن رخيص إلى ذهب بالكيمياء. (المترجم)

نفسه ويوقن بأن فكرة تحول التراب إلى ذهبٍ صحيحة ومؤكدة، لكن الذي يسعى للفوز بقرب الله ينسب خطأه إلى الله ويتركه.

وهذا هو حال الباحثين في العصر الحاضر أيضا حيث يقضون سنين طويلة في البحث لنيل هدف ما، وبعد عدة سنوات يحرزون النجاح. وليس من الضروري أن يتخذوا كل مرة نفس الأسلوب الذي اتخذه مرة، بل هم يغيرون أساليبهم في شتى التجارب. ومن هذا المنطلق ثمة حاجة لفحص أسلوبكم لإحراز الروحانية وقرب الله والتشرف بإجابة الدعوات، وثمة حاجة للإصلاح واستعراض أسلوبكم واختباره أنه كيف وبأي طريق تقومون بالإصلاح. لذا هناك حاجة لفحص النفس، واستعراض عباداتكم، والعمل بجميع أوامر الله ﷻ وفحص جميع أعمالكم أنه من أي نوع هي. وثمة حاجة لإصلاح اتجاه التفكير والعقل، فحين قال الله ﷻ إني قريب من عبادي وأجيب دعواتهم ثم لا نجد قريبا منا ولا تجاب دعواتنا فمن المؤكد أن هناك نقصا في مساعينا وحالاتنا. يقول المصلح الموعود ﷺ: كان سيدنا المسيح الموعود ﷺ يقول: الشحاذون نوعان، مصرّون وغير المصرّين، فالشحاذ العادي من يأتي إلى باب أحد من الناس ويطلق النداء ويسأل شيئا فإذا أعطاه أحد شيئا أخذ وإن لم يؤته أطلق نداءين أو ثلاثة وانصرف، أما النوع الثاني فهم لا يبرحون الباب ما لم يستلموا شيئا، فهم لا يتركون الباب دون أن يأخذوا شيئا، وهم قليلون جدا. وأتذكر أن شخصا من هذا القبيل كان يأتي إلى المسيح الموعود ﷺ ويجلس عنده ولم يكن ينصرف قبل أن يأخذ شيئا، فلم يكن يترك باب بيت المسيح الموعود ﷺ حتى يخرج إليه حضرته ويعطيه شيئا، وأحيانا كان يحدّد المبلغ الذي يريده وكان المسيح الموعود ﷺ لو أعطاه أقلّ من ذلك رفض استلامه نهائيا، وحدث مرارا أن الضيوف حققوا طلبه لكي ينصرف. يقول حضرته: لقد لاحظت أنه حين تفوه أنه يريد مبلغا معيناً، لم ينصرف قبل أن يتحقق طلبه، ولو كان حضرته متوعكا لما انصرف حتى يتحسن حضرته ويخرج إليه ليعطيه شيئا. فكان سيدنا المسيح الموعود ﷺ يقول: من الضروري لقبول الدعاء أن يعزم المرء مسألته ويستمر في طلبه على شاكلة الشحاذ المصرّ، ويجلس على أعتاب الله ﷻ ولا يبرح ولا ينصرف حتى يُثبت فعلُ الله أنه يجب أن لا يدعو لذلك. وإنّ الفعل الإلهي لمنع الدعاء يظهر في شتى الطرق، فمثلا إذا كانت هناك حاملٌ، وفي هذه الأيام يمكن معرفة إن كان الجنين صبيا أو بنتا، وهو يكون مؤكدا قرب الولادة، وفي هذه الساعة إذا دعا أحد أن يولد صبي حصرا فهو ينافي فعلَ الله، فذلك الوقت هي الساعات الأخيرة للولادة. وهذا الدعاء يمكن للحمل التالي أن يهبه الله صبيا في الحمل القادم. أو إذا تبينت مشيئة الله صراحة ومع ذلك إذا استمر المرء في الدعاء، فهذا خطأ، بل هي إساءة. لكن يجب التذكر أيضا أنه لا يجوز التخلي عن التدبير أبداً، إذ التدبير أيضا ضروري مع الدعاء، فالدوام على الدعاء والتدبير بانتظام يجذب أفضال الله. فالتدبير مع الدعاء ضروري جدا. كان سيدنا المسيح الموعود ﷺ يقول: إن عدم اتخاذ التدبير مع الدعاء باطل، فمثل هذا الدعاء يُرد إلى صاحبه، كالذي يدعو فقط ولا يتخذ التدبير. فالذي لا يقوم بالتدبير إلى جانب الدعاء، لا يُسمع

دعاؤه، وذلك لأن عدم اتخاذ التدبير مع الدعاء ينافي سنة الله، وكأن المرء يمتحن الله، ولا يليق بالله ﷻ أن يمتحنه عباده. وفقنا الله ﷻ للدوام على الدعاء وأن نجعل حالاتنا بحسب رضوان الله ﷻ متخذين جميع الوسائل المادية.

بعد الصلاتين سأصلي جنازة الغائب على شهيد، فقد قتل أعداء الجماعة السيد قمر الضياء المحترم ابن السيد محمد علي المحترم- من سكان كوت عبد المالك في محافظة شيخوبوره- بالسكاكين في ٢٠١٦/٣/١ في الساعة الواحدة والنصف خارج بيته، إنا لله وإنا إليه راجعون. يوم الاستشهاد كان الشهيد قد خرج من محله الملاصق للبيت ليعيد أولاده من المدرسة إذ هاجمه مجهولان وجرّاه إلى الزقاق حيث أمسك به أحدهما والثاني انهال عليه بطعنات بالسكين. حاول الشهيد قمر الضياء التخلص ولم يستطع إذ كان صدره وكتفه وقلبه وعنقه قد طعن بالسكين. أحدهما هاجمه بالسكين في خلف الرقبة وتركها فيها وهربا، فلم يحتمل الشهيد الهجمات فسقط شهيدا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

كان جدُّ والد الشهيد السيد دولت خان أول أحمددي في العائلة إذ كان قد جاء إلى قاديان من "اولك بيرى" في محافظة غورداسبور وبايع على يد المسيح الموعود عليه السلام، ودُفن بعد الوفاة في بهشتي مقبرة ربوة، كان جدُّ الشهيد أحمديا بالولادة بفضل الله، وهو الآخر مدفون في بهشتي مقبرة ربوة. بعد استقلال باكستان هاجرت هذه العائلة إلى قرية كاليكي ناغري في محافظة سيالكوت وسكنت هناك. وقد ولد الشهيد هناك، ثم انتقل إلى كوت عبد المالك في ١٩٨٥، درس الشهيد إلى البكلوريوس وعمل موظفا في شتى المكاتب لمدة ثم فتح محلا خاصا لتصوير المستندات والهواتف الجواله. تزوج في ٢٠٠٤. كان صاحب حصيل حميدة كثيرة فكان مؤمنا صالحا طيب القلب طاهر السيرة كريما واجتماعيا، وكان مخلصا جدا وشجاعا، وكان نشيطا وسباقا في ضيافة الضيوف من المركز، كما كان بارزا دوما في خدمة الجماعة. كان يقابل كل واحد بوجه تطلق. يقول أخو الشهيد إنه كان يحافظ على الصلوات بصفة عامة وعلى صلاة الجمعة بصفة خاصة، وعندما كان أصحاب المحلات الآخرون غيرُ الأحمديين يرون الشهيد يغلق المحل وقت صلاة الجمعة ليحضر الجمعة كانوا هم أيضا يغلقون محلاتهم قائلين إذا كان هذا القادياني يتوجه إلى صلاة الجمعة بعد إغلاق محله فعلينا أيضا أن نغلق محلاتنا ونحضر الجمعة. فكان الشهيد لا يترك أي جمعة وكان غير الأحمديين أيضا يوفّقون لأداء صلاة الجمعة بسببه. قالت زوجة الشهيد: من الشهر الماضي لاحظتُ فيه تغيرا ملموسا حيث كان يعتني بي أكثر من ذي قبل ولم يكن يستاء لكلام قاسٍ يصدر لي. كان الشهيد بفضل الله منخرطا في نظام الوصية، وحاليا كان يخدم الجماعة بصفته سكرتير الإصلاح والإرشاد، وكان يخدم الجماعة في مجالات أخرى كثيرة أيضا، فقد عُهدت إليه مسئوليات شتى في الماضي ووفقُ بأدائها. كان ينجز شتى أعمال الجماعة بنشاط وحماس، كان يواجه المعارضة وكان قد أخبر بذلك الشرطة أيضا خطيا. في ٢٠١٢/٨/١٤ م اجتمع خارج بيته خمس مائة شخص بإشراف الشرطة، وإثر ضغط المعارضين صعد أحد رجال الشرطة على الطاولة ونزع الصور كما طمس عبارة "والله خير الرازقين" والشهادتين بلون أسود. وبعد ذلك أزالوا عبارتي "أليس الله بكاف عبده" و"ماشاء الله" من جدار

البيت بواسطة الإزميل والمطرقة. فهذا هو حال هؤلاء، وماذا يمكن أن نقول غير إنا لله وإنا إليه راجعون. ومثل ذلك جاءت إلى بيت الشهيد قمر الضياء مسيرة تضم خمسين شيخاً فأخرجوه من البيت وعذبوه وأساءوا إلى صورة المسيح الموعود عليه السلام واستخدموا ضد حضرته كلماتٍ بذيئة، ثم وصلت الشرطة إلى هناك وأخذت الشهيد قمر الضياء إلى مخفر الشرطة، ودون أن تعاقب المعارضين أنهت القضية. فكان يواجه هذه الأوضاع المعادية وكان يتلقى التهديدات على الدوام، ونظراً إلى ذلك كله كان ينوي الهجرة إلى خارج باكستان، لكن الله ناداه إليه وأكرمه بالاستشهاد، لقد ترك الشهيد أخوين وأختين وأباه محمد علي المحترم، زوجته "روبي قمر" وثلاثة أولاد هم حذيفة وعمره ١٠ سنوات، وأمة المتين وعمرها ٧ سنوات وأمة الهادي وعمرها ٤ سنوات. رفع الله درجات أخيها الشهيد هذا في جنات رضوانه ووهبه نعماء الجنة دائماً، وجعل مثواه عند أحبته. آمين.

